المحاضرة التاسعة : الهجرة الجزائرية

الهجرة: لغة يعرفها ابن منظور بقوله:والهِجرة والهُجرة : الخروج من أرض إلى أرض والمهاجرون الذين ذهبوا مع النبي ﷺ [1]، وهو التعريف نفسه الذي يذهب إليه الفيروز أبادي بقوله : والاسم الهِجرة بالكسرة والضم الخروج من أرض إلى أخرى وقد هاجر والهجرتان : هجرة إلى الحبشة وهجرة إلى المدينة[2].

أما لغة ففي علم السكان " الديمغرافيا " "Démographie" فتدل على الانتقال المكاني أو الجغرافي لفرد أو جماعة ، وجاءت في علم الاجتماع للدلالة على تبدل الحالة الاجتماعية كتغير الحرفة أو الطبقة الاجتماعية أو غيرهما وقد يجتمعان، أما التهجير فهو الإرغام على الهجرة بالقوة والتهديد[3].

ولكلمة الهجرة صلة بأكثر من علم، فنجد مثلا بأن لها صلة بعلم التاريخ وبعلم الاقتصاد وبعلم السكان وغير ذلك من العلوم، وهناك أيضا هجرة للجماد كرؤوس الأموال وهجرة النبتات وهجرة الحيوانات ولاسيما الطيور، ولكن هجرة الإنسان هي الأعم والأهم [4].

والهجرة ظاهرة ضاربة في أعماق الماضي ولم تكن البتة وليدة العصور الوسطى أو الحديثة، حيث أنه في أقدم العصور نزح الساميين للعراق (مملكة بابل) وإلى سورية ولبنان (الفينيقيو ن)كما شهدت بلاد المغرب القديم هجرات عديدة عبر تاريخيه ا القديم كهجرة الإغريق وهجرة الفينيقيين إلى تونس وتأسيسهم لحضارة قرطاجة.

وفي التاريخ الإسلامي كانت الهجرة الكبرى هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة التي اعتبرت منعرجا تاريخيا بارزا لدرجة اتخاذها معلما للتقويم الهجري، ثم تتالت الهجرات الإسلامية في سبيل نشر وتبليغ رسالة الإسلام في شتى بقاع الأرض فجاب المسلمون أقاصي السودان جنوبا إلى بلاد البلقان وفرنسا واسبانيا شمالا [5]،وذلك عملا بقول عز من قائل: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[6] وقوله أيضا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

---

[1] - ابن منظور : لسان العرب ، مج 6 ص 4617.
[2] - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي : القاموس المحيط ،دار الحديث القاهرة ، 1429/2008، ص1675
[3] - عبد الوهاب الكيالي :المرجع السابق ، مج7، ص 67.
[4] - عبد الوهاب الكيالي :المرجع نفسه ، ص67
[5] - نفسه .
[6] - سورة الأنفال الأنفال الأية 72

وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[7]

ومنه يتبين أن الهجرة عبارة عن حركة تنقل للأفراد والجماعات ترتبط عادة بتغيير مكان الإقامة وهي فصلية أو مؤقتة أو نهائية بلا رجعة ، وتكون داخلية أو خارجية والأهمية التي تلعبها الهجرة في حياة المجتمعات تبرز من خلال التأثر والتأثير المتبادل ، وان كان الفرد الجزائري قد عرف الهجرة قبل دخول المستعمر الفرنسي لكنها لم تكن بنفس الحجم والأعداد التي أضحت عليها في ظل الاستعمار الفرنسي، ومرد هذا التضخم في حجم الهجرة يرجع إلى ضيم العيش في ظل الاستعمار الفرنسي الذي سلب للجزائري كافة مقومات الحياة الكريمة عبر تجريده من كافة ممتلكاته [8] وهنا أضحت الهجرة المتنفس الذي يلجأ إليه الجزائري في سبيل الحصول على لقيمات يسد بها جوعه وجوع من هم تحت وصايته.

دوافع الهجرة :

الدوافع الدينية والثقافية :

محاربة الاحتلال للدين الإسلامي من خلال مصادرة الأوقاف وتضييق الخناق على التعليم العربي الإسلامي وضرب القضاء الشرعي واستمرار خضوع الشؤون الإسلامية لتحكم فرنسا ، إذ ظل الحاكم العام هو الذي يعين الأئمة والقضاة والمفتين ويقرر مواعيد المواسم والأعياد الدينية ، رغم فصل الدين عن الدولة في فرنسا عام 19055 وتطبيق الإجراء على الجزائر عام 1907 لكن طبق على الديانتين المسحية واليهودية دون الإسلام

2- محاربة اللغة العربية بضرب المؤسسات التعليمية وحظر فتح المدارس والكتاتيب الا بترخيص من الإدارة وإبعاد العربية عن الحياة العلمية

3- تأثر الجزائريين بالحركة الإصلاحية وحركة الجامعة الإسلامية ما أوحى للجزائريين بوجود عالم أكثر حيوية وحرية في المشرق ، الشيء الذي جعلهم يتوقون للعيش في بيئة تحترم العلم وتتبنى الإسلام وتلتزم به

---

[7] - سورة النساء الآية 100

[8] - مجهول :هجرة الجزائريين الى تونسبين تلبية الحاجيات الاجتماعية وإحداث التكامل الثقافي في النصفالأول من القرن 14 هـ/20م(وادي سوف نموذجا)

ثانيا : الدوافع السياسية :

1-القوانين الاستثنائية والمحاكم الردعية التي أمعنت في استبعاد الشعب الجزائري وحرمانه من أبسط الحقوق والحريات

2- التجنيد الإجباري مما اضطر الجزائريين لبيع ممتلكاتهم والرحيل بأسرهم فرارا بدينهم وحياة أبنائهم .

3- حرمان الجزائريين من الحقوق والحريات السياسية .

4- تشجيع فرنسا هجرة الجزائريين إليها ، لامتصاص العناصر الوطنية وإذابتها في المهجر لإنعاش اقتصادها.

ثالثا : الدوافع الاقتصادية والاجتماعية :

1-فقد الجزائريين لأرضهم وتحولهم إلى عمال أرض مستغلين

2- الضرائب الثقيلة المفروضة عليهم

3- تدهور مستويات المعيشة ، نظرا لفقدان الجزائريين أراضيهم وتدهور الذي طال ماشيتهم فانتشرت البطالة والفقر والعوز والجوع والمرض ، مما دفعهم للهجرة خارج الوطن بحثا عن لقمة العيش.

اتجاهات الهجرة الجزائرية :

هناك اتجاهان قصدتهما الهجرة الجزائرية هما : البلاد العربية والإسلامية (1847-1914)وفرنسا منذ الحرب العالمية الأولى

- الهجرة نحو البلاد العربية والإسلامية : عدت بمثابة وجهة خلال قبة الدراسة ، قصدها الجزائريون ومن جملة البلدان التي قصدها الجزائريون نجد : سوريا ،مصر ، الحجاز ، المغرب ، تونس وتركيا الأسباب أهمها :

- ملائمة بيئته الدينية والثقافية واحتوائه على مراكز حضارية أماكن المقدسة .

- احتفاظه باستقلال عن الاستعمار الأوربي تحت راية الخلافة العثمانية

-تساهل الولايات العثمانية غالبا مع المهاجرين

وبلغ عدد المهاجرين في سوريا 20.000 مهاجر 1911ونفس العدد كان تقريبا في المغرب ومابين 10-15 ألف مهاجر في مصر وما بين 5000-7500 في ش ج ع و2500-3000 في فلسطين وحوالي 6000 في تركيا الحالية

. **الهجرة إلى فرنسا :**

كانت أسبابها عسكرية (التجنيد)واقتصادية بالدرجة الأولى ظلت مقيدة بمرسوم 1874/05/16إلى غاية 1913/06/18 ، لتصبح ظاهرة بارزة بفعل تشجيع السلطات الفرنسية لهجرة الجزائريين إلى أراضيها لشدت احتياجها لليد العاملة والجنود ، إذ نقلت إلى الضفة المقابلة من البحر المتوسط نحو 270.000جزائري بين جنود وعمال ومزارعين

وزاد عدد هؤلاء نحو 4-5 ألاف عام 1912وارتفع ليصل إلى 80.000ملهجر عام 1918

انعكاسات الهجرة :

***ايجابيا :**

-مساهمة الجزائريين في الشرق الأدنى بصحفهم وجهادهم في إنضاج وتعميق حركة الجامعة الإسلامية والإصلاحية وتأثيرهم على إخوانهم في الجزائر

- مساهمة العناصر المهاجرة إلى فرنسا في بروز الحركة الوطنية نظرا لاكتسابها خبرة عسكرية واتصالها برجال الشرق والغرب (كالزعيم الإسلامي شكيب أرسلان الذي كان لاجئا في جنيف وتعرفها على قواعد وأساسيات العمل السياسي والنشاط النقابي وحرية الرأي والصحافة

- مساهمة المهاجرين إلى فرنسا في توفير لقمة العيش لعشرات الآلاف من العائلات الجزائرية

***الآثار السلبية :**

- إفراغ الجزائر نسبيا من الكفاءات العلمية والمهنية والدينية ، مما تسبب في ركود الأوضاع وإضعاف المجتمع في مواجهة المشروع الاستيطاني

- معاناة الفئة المهاجرة لفرنسا من التهميش والعنصرية
- هلاك الآلاف من الشبان الجزائريين المجندين في ح ع 1 للدفاع عن فرنسا.
- قسوة الظروف المادية التي واجهها بعض المهاجرين في المشرق لقلة إمكاناته م ولحدة المشاكل الاقتصادية في الولايات العثمانية
- تشتت الأسر واشتداد حرمانها ومعاناتها